المجامع العلمية واللغوية[1]

للامير مصطفى الشهابي

الاكاديمية لدى اليونانيين الاقدمين ارض على بعد كيلو مترين من أثنا في شمالها الغربي تنسب الى البطل المسمى أكادموس Akadèmos . وهي ارض مملوكة احاطها صاحبها بجدار واتخذها مدرسة . ثم اتصلت بسيمون ابن ملتيادس فغرس فيها اشجاراً متنوعة تسودها ادواحُ بواسق من الدلب ذاع صيتها في تلك الايام . وكان في الاكاديمية هيكل للآلهة أثنه Athènè محاطٌ باثنتي عشرة زيتونة مقدسة ، ومذابح لآلهة آخرين منها واحد لآلهات الشعر شاده الفيلسوف افلاطون الشهير لانهُ كان يحب تلك الحديقة ويتلذذ بالنزهة في ظلال اشجارها الباسقة . وكان يجلس فيها لالقاء دروسهِ على تلامذته ، لذا اطلق الاقدمون لفظة أكاديمية على عصبة تلامذة أفلاطون كما اطلقوا لفظ « مدرسة الأكاديمية » على المدرسة التي أسسها هذا الفيلسوف . ثم اتسع مدلول تلك اللفظة فصار يدلّ على مجتمعات الآداب والعلوم والفنون مثل اكاديمية البطالسة في الاسكندرية والاكاديمية العبرية والمدارس التي أسسها بعض الخلفاء وملوك المسلمين في دمشق وبغداد والاندلس واكاديمية شارلمان والفريد الكبير وغيرها وكل هذه اقرب الى المدارس منها الى المجامع العلمية المعروفة في ايامنا هذه . والمجامع العلمية واللغوية كما نعرفها اليوم بدأ تأسيسها في عهد اليقظة في اوربا اي في القرنين الخامس عشر والسادس عشر من الميلاد . وكانت ايطاليا السبّاقة في هذا المضمار فقد كاد يجتمع لها مجمع او اكثر في كل مدينة من أمدنها . وربّ مدينة كبيرة كان فيها عشرون مجمعاً او اكثر لكن معظمها لم يعش طويلاً ولم يقو على صروف الدهر فطاحت به احداثهُ دون ان يأتي اعضاؤه عملاً يذكر

وتبعت فرنسا خطوات ايطاليا في تأسيس المجامع منذ القرن السابع عشر . ولما كانت بلادها موحدة تحت سلطة ملك واحد عاشت فيها تلك المجامع وعمت فوائدها اكثر من اشباهها الايطالية ، وكانت في التاريخ مثالاً احتذتهُ الدول السائرة في ايجاد مجامعها

وكثيراً ما انتقد النقاد المجامع العلمية إما عن عقيدة واما لغرض في نفوسهم . واتم

(١) راجعنا في تلخيص هذا البحث الموسوعة الفرنسية والموسوعة الانجليزية ومعجم لاروس الزراعي وتاريخ التمدن الاسلامي ورسائل اخوان الصفاء وبعض اجزاء المقتطف ومجلة المجمع العلمي العربي بدمشق . والمجمع ترجمة Acoudemie والمعهد ترجمة Institut والجمعية ترجمة Société ومن المعلوم ان اللفظة الفرنسية الاخيرة تطلق على الشركة ايضاً

الاغراض اخفاقهم في الانتساب الى احد المجامع فهو ما يدعو الذي عثر به جدّهُ عن الانتظام في سلك هذا المجمع الى محاربته اشد المحاربة . ويرى بعض الناس ان اعضاء المجامع العلمية واللغوية يكونون قصيري النظر قليلي الاحاطة بشؤون الحياة يؤثرون انفسهم على الغير ويسيرون بمقتضى اهوائهم ولا يأبون مما يفعلون لهذا تراهم يتمادون في غيهم . لكن الحقيقة ان اعضاء المجامع العلمية بشر يخطئون ويصيبون وتعهم اعم وقد خدموا العلم والفن واللغة خدمات لا ينكرها الاّ كل جاهل او اعمى . وقديماً قال رينان « يكون صوت العلم ضعيفاً غالباً أمام جسارة المتجاسرين ووقاحة المتوقحين . ومهما ضعف صوت العلم في بعض البيئات فهو حي لا يموت ومتى سكت الغربان خلل هذا الصوت يدوي حتى لا يُسمع غيره لذلك يكتب النصر للمجامع العلمية دائماً لانها تحمي الحقيقة ولا يدوم غير الحقيقة مهما قل نصراؤها وتألبت عليها الآراء المدنيئة » انتهى

﴿ مجامع فرنسا ﴾ اذا استقصينا مهد المجامع العلمية واللغوية نجده في الغالب في مجتمعات خاصة لاناس تدانت ثقافتهم واتحدت منازعهم فأخذوا يترددون على بيت احدهم يتداولون في العلم او الفن او اللغة وغايتهم خدمتها بما اجتمع لهم من الوسائل والاسباب . كذلك نشأ مجمع اللغة الفرنسي وكذلك كان في فجر حياته سنة ١٦٢٩ . فلما اتصل نبأ هؤلاء النفر بالكردينال ريشليو هالهُ ان لا يمتوا اليهِ بصلة وان لا يكونوا من اتباعهِ فرغب اليهم في بدء سنة ١٦٣٤ ان يكوّنوا جمعية تخدم اللغة تحت سلطة الحكومة واشرافها فترددوا به بادىء بدء ثم رأوا ان لا قبل لهم بالكردينال فاذعنوا . وكان عددهم ١٢ شخصاً فجُعلوا ٢٨ شخصاً . وليثوا محوسنة يدرسون الاعمال التي يجب ان يأتوها ثم سنوا في اول سنة ١٦٣٥ قانوناً في خمسين مادة تسموا بموجبهِ «الاكادمية الفرنسية» واهم اغراضها ضبط اللغة وتحديد معاني الالفاظ ووضع ألفاظ جديدة حتى تصح اللغة الفرنسية لغة علم وفن وعمران كاللاتينية واليونانية في عصورها الذهبية القديمة . ويقتضيهم القانون المذكور تأليف معجم ووضع قواعد في اللغة والمنطق والشعر . وقد جعل عدد الاعضاء ٤٠ عضواً . وظلّ هذا العدد ثابتاً الى اليوم

وكان الكردينال ريشليو حامياً للاكادمية الفرنسية يذود عنها ويغالب غارات الجهال والحساد وارباب المطامع فكان لزاماً بعد وفاته ان يخلفهُ من هو حسن الظن بها فاستقر الرأي على الوزير سيغيه Séguier وفي ايامهِ صار العضو الجديد يدخل الاكادمية في حفلة علنية وصار مطالباً بتلاوة اطروحة او خطاب . ومن هذه الخطب ما هو مشهور كالخطاب الذي القاه لابرويير Bruyère سنة ١٦٩٣ والذي القاه بوفون Buffon سنة ١٧٥٣

ورعى لويس الرابع عشر الاكادمية الفرنسية بعنايته وجعلها من دواوين الحكومة الرسمية وخصص لها مكاناً في قصر اللوفر ولم يعارض في امورها ولاسيما في انتخاب اعضائها الاّ نادراً

واصبح العضو فيها محترماً يشار اليه بالبنان وتمكن العباقرة ان يظهروا في المجتمعات في جانب النبلاء واصحاب الوجاهة ممن لم يسوّدهم سوى المال الذي ورثوه او الاسرة التي ينتمون اليها . ولا شك ان عدداً غير قليل من اكبر ادباء فرنسا ما انتسبوا في حياتهم الى هذا المجمع مثل ديكارت وباسكال ومولير وبوردالو ومالبرانش وغيرهم ومع هذا لا نكران ان المجمع المذكور كان وما برح مثالاً للعبقرية الفرنسية . والادباء والكتّاب يتسابقون عشرات لاخلاف العضو الذي يموت فيه . وكل كاتب مهما كبر شأنه وذاع صيته فانما يجلّه الناس ويوقرونه كاجلالهم وتوقيرهم لاحد اعضاء الاكادمية الفرنسية

وقد قامت الاكادمية بأهم وظائفها فوضعت معجماً للغة الفرنسية يعدّ ثقة في بابه حددت فيه معاني الالفاظ واضافت الفاظاً ومصطلحات عدة . وطبعت هذا المعجم طبعات كثيرة في مختلف السنين . وهي اليوم مثابرة على عملها تجاه الالفاظ الجديدة . ولها اعمال اخرى منها اشرافها سنوياً على اكثر من عشرين مباراة ادبية فتفحص اوراق المتسابقين وتحكم فيها وتمنح الناجحين الجوائز المخصصة لهم او الموقوفة عليهم

وفي فرنسا عدا مجمع اللغة المذكور مجامع كثيرة اهمها مجمع الخطوط والآداب ومجمع العلوم ومجمع الفنون الجميلة ومجمع العلوم الاخلاقية والسياسية ومجمع الطب ومجمع الزراعة . فمجمع الخطوط والآداب اسسهُ الوزير كولبر سنة ١٦٦٣ واعضاؤه اربعون . وهم علماء اعلام ينصرفون الى دراسة الآثار والمصانع والمخطوطات واللغات القديمة وتاريخ الآداب . وكان منهم رينان ودارنبورغ وشامبوليون وسيلفستر دوساسي وماسبرو وكلهم اعلام استفاضت شهرتهم . ولهذا المجمع مجلة وألف أعضاؤه تاريخاً للآداب ومجموعات في المخطوطات وفي مؤرخي فرنسا ومؤرخي الحروب الصليبية وغير ذلك وهم يشرفون على عدة مباريات ويمنحون الناجحين جوائز حبّسها عليهم اهل البر من عشاق هذه الفنون

أما مجمع العلوم فتاريخه مجهول قبل سنة ١٦٦٦ . وكان اعضاؤه قبل تلك السنة ألفوا بينهم جمعية علمية واخذوا يجتمعون في بيوت بعض رفاقهم . وكان منهم ديكارت وباسكال الشهيران ولما علم بهم (كولبر) وزير لويس الرابع عشر ألّف منهم مجمعاً للعلوم ينتمي الى الحكومة كمجمع اللغة ومجمع الخطوط والآداب وخصص لهم مكاناً في دار الكتب الملكية يجتمعون فيه ويتداولون احاديث العلوم وسيرها في فجر نهضتها . لكن هذا المجمع لبث حتى سنة ١٦٩٩ بلا نظام داخلي وبلا عمل بارز ولا سيما بعد موت الوزير كولبر . ففي تلك السنة سن له نظام يقضي بزيادة عدد أعضائه وباجراء الرواتب على بعضهم . ولما ضاقت دار الكتب عنهم نقلوا الى قصر اللوفر فازداد نشاطهم . لكن الثورة الفرنسية الغت هذا المجمع كما الغت المجامع السائرة واستبدلت بها معهداً جديداً سمته المعهد الوطني للعلوم والفنون يحوي ستين عضواً على فروع

مختلفة عدا عدد كبير من الأعضاء المراسلين . غير ان هذا المعهد لم يدم طويلاً لانه صدر في سنة ١٨١٦ أمر ملكي باعادة المجامع الملغاة مع استبقاء لفظة «المعهد» تطلق على مجموعها فعاد مجمع العلوم الى سابق حاله وصار أعضاؤه ٧٥ عضواً خدموا العلوم خدمات جليلة على توالي السنين

وأما مجمع الفنون الجميلة (وكان أجدادنا يسمونها الآداب الرفيعة) فانه تأسس سنة ١٧٩٥ عقب الغاء مجمعين وجدا قبله وهما المجمع الملكي للرسم والنقش والمجمع الملكي للبناء . ويعد مجمع الفنون الجميلة من أقسام «المعهد» أي معهد العلوم والفنون في فرنسا . وله خمس شعب للرسم والنقش والبناء والحفر والموسيقى . أعضاؤه اربعون وله أعضاء مراسلون كالمجامع الاخرى . وهو يشرف على مدرسة الفنون الجميلة في باريز وله اوقاف ومباريات ومصنفات في تلك الفنون ومعجم

ومجمع العلوم الاخلاقية والسياسية يعدُّ وليد الثورة الفرنسية لانه ما كان معروفاً قبلها . وكان اعضاؤه ثلاثين على خمس شعب للفلسفة والتشريع والحقوق العامة والاقتصاد السياسي والتاريخ العام والفلسفي . وفي سنة ١٨٥٥ أضيف على هذه الشعب شعبة سادسة اعضاؤها عشرة للسياسة والادارة والمال فاصبح عدد الاعضاء اربعين . وقد وهب الشعب والحكومة هذا المجمع هبات مالية او عقارية حبّسها على مباريات بين المؤلفين في الموضوعات التي يختارها المجمع

ومن المجامع الفرنسية الحديثة مجمع الطب فانه أسس سنة ١٨٢٠ بموسوم أصدره لويس الثالث عشر وأهم اغراضه ابحث في شؤون حفظ الصحة والامراض السارية والطب الشرعي والمياه واستحضار العلاجات وتهيئة المصل ضد الامراض وكل ما يدعو الى تقدم صناعة المداواة والشفاء من الامراض . وكان على ثلاث شعب طب وصيدلة وجراحة . وكان فيه ٨٥ عضواً عاملاً و ٦٠ عضواً فخريًّا وعدد كبير من الاعضاء المراسلين او المؤازرين . وقد تبدل نظامه مراراً وهو اليوم يحوي شعباً كثيرة لمختلف العلوم الطبية

واحدث المجامع في فرنسا مجمع الزراعة فانه أنشئ ايام الحرب الكبرى بمرسوم مؤرخ في ٢٣ شباط (فبراير) سنة ١٩١٥ فقام مقام الجمعية الملكية الزراعية التي كانت أوجدت ايام لويس الخامس عشر سنة ١٧٦١ ثم سميت بعدها باسم الجمعية الوطنية الزراعية بموجب مراسيم مختلفة صدرت في السنين ١٨٧٨ و ١٨٧٩ و ١٨٨٠ . وفي مجمع الزراعة ٧٢ عضواً عاملاً و ١٥ عضواً اجنبيًّا و ٢٠ عضواً غير مقيمين في فرنسا و ١٥٠ مراسلاً في فرنسا والجزائر والمستعمرات الفرنسية و ٥٠ مراسلاً من الأجانب . ووزير الزراعة هو رئيس المجمع الفخري والمجمع حق مراسلة المجامع العلمية الفرنسية والاجنبية مباشرة او بواسطة رئيسه الفخري وهو على قسمين الاول للعلوم الزراعية . والثاني للعلوم المتعلقة بالزراعة . وفي القسم الاول خمس شعب للزراعة المقتصدة والزراعة الخاصة والحراج والحيوانات المواجن والاقتصاد

الزراعي وما اليه كالاحصاء والتشريع الزراعي . أما القسم الثاني ففيه اربع شعب للعلوم الطبيعية والكيماوية الزراعية وللموالد الزراعية وللآلات الزراعية وللعلوم السائرة المتعلقة بالزراعة . وللمجمع مجلة شهرية ودروس وتقارير وابحاث مطبوعة . وهو يشرف على مباريات ويمنح الفائزين جوائز ومداليات

﴿ مجامع ايطاليا ﴾ ايطاليا كما ذكرت من اقدم البلاد التي تأسست فيها المجامع العلمية . وكانت كلها بادىء بدء جمعيات تساعد اعضاؤها على خدمة العلوم والفنون والآداب . ومعظمها تلاشت مع الأيام وأشهرها المجمع الافلاطوني Accademia platonica في فلورنسا لدراسة فلسفة أفلاطون . وقد تفرق اعضاؤه في سنة ١٥٢١ فلم يجتمعوا بعدها . واول مجمع علمي في ايطاليا مجمع علم الطبيعة أسس سنة ١٥٦٠ وكان اعضاؤه يتداولون في الطب وفي الفلسفة الطبيعية فاتهم رئيسه بالسحر فطلب البابا بولس الثالث الغاء المجمع فالغي . وعقبه مجمع لنسناي في رومة سنة ١٦٠٣ وكان غاليليو الشهير من أعضائه وهذا المجمع لم يعش الا لسنة ١٦٣٠ لكنهم اطلقوا هذا الاسم على مجمع أسس حديثاً أي في سنة ١٨٧٠ رعته الحكومة الايطالية وسنت له قانوناً في سنة ١٨٧٥ وحبته بالمال الكافي وهو على شعبتين شعبة للعلوم الاخلاقية والسياسية وشعبة للعلوم الطبيعية

ومن المجامع الايطالية القديمة مجمع سيمانتو Cimento للعلوم الطبيعية أسس سنة ١٦٥٧ وكان طوريشلي الشهير من اعضائه وقد نشر ابحاثاً ثمينة وتجارب مفيدة في ضغط الهواء وقابلية ضغط الماء وفي الحرارة والصوت وغيرها . ومن المجامع التي عاشت طويلاً مجمع كروسكا Crusca اللغوي تأسس سنة ١٥٨٢ في فلورنسا فانكب اعضاؤه على وضع معجم للغة الايطالية عُدَّ ثقة في بابه . وقد أعيد تنظيم هذا المجمع سنة ١٨٠٩ وهو لا يزال حيًّا

وللفنون الجميلة في ايطاليا مجامع عديدة كمجمع ميلان ومجمع تورين ومجمع الرسم وغيرها

﴿ مجامع انكلترة ﴾ لا يسمون في انكلترة عصبة العلماء والادباء مجمعاً . بل جمعية. ويطلقون لفظة المجمع على جماعة الفنون الجميلة وحدهم . فالجمعية الملكية في لندن هي في منزلة مجمع العلوم في باريز او في برلين وهي ليست اقل منهما شأناً . وترجع محاولة تأسيسها الى سنة ١٦١٦ . وفي سنة ١٦٤٥ اخذ تلامذة باكون يجتمعون في اوكسفورد ويتدارسون العلوم المادية حتى اذا صعد كارلوس الثاني على اريكة العرش سن لهم نظاماً في سنة ١٦٦٢ فكان فيه أساس جمعية لندن الوطنية . وسرعان ما تألق نور هذه الجمعية فاليها قدم نيوتن أهم مكشوفاته فنشرها في مجموعاتها . واليها ينسب معظم علماء انكلترة (بل معظم علماء العالم) امثال نيوتن وهالي وسمبسون وفراداي وكافانديش ودافي وطمسن ورذرفورد وغيرهم . وظلت لامعة في عالم العلوم طيلة القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر وهي اليوم في مقدمة المجامع العلمية

اما مجمع الفنون الجميلة ومدرستها فقد بدأت كغيرها جمعية خصوصية كثيراً ما تخاصم اعضاؤها وتنازعوا حتى سنة ١٧٦٦ اذ عطف عليها جورج الثالث فسنّ لها نظاماً . وسميت بعد ذلك باسم المجمع الملكي وكان اعضاؤها اربعين عضواً بين رسام ونحات وبنّاء . واليها يرجع الفضل في تقدم الفنون البريطانية الجميلة منذ القرن الثامن عشر الى يومنا هذا وثمة جمعيات ومعاهد اخرى للعلم والهندسة على اختلاف فنونها والاقتصاد لا يتسع المقام لذكرها

﴿مجامع المانيا﴾ اول مجمع علمي تأسس في برلين الجمعية العلمية وذلك في سنة ١٧٠٠ ايام فريدريك الاول . وانتخب لبنتز الشهير رئيساً لها . وغرضها جمع العلوم المختلفة وتنميتها وتزييد الانتفاع بها . ولكن صاحب التاج ما كان عطوفاً على تلك الجمعية ولم يشأ ان ينفق عليها فمن موازنته فلم تقم لها قائمة الا أيام فريدريك الثاني اذ اتحدت مع الجمعية الأدبية وتسمتا باسم المجمع البروسي للعلوم والآداب وذلك سنة ١٧٤٣ . ومنذ ذلك التاريخ اخذ أعضاء المجمع يجتمعون بانتظام مقسمين اربع شعب للعلوم الطبيعية والرياضية والفلسفية والأدبية (ومنها اللغوية) . ومن المعروف ان فولتر انتظم في سلك هؤلاء الاعضاء على أثر رفض انتخابه لمجمع العلوم في باريز . واغدق فريدريك الثاني على مجمع برلين مالاً واوقف عليه ارضاً واحله بناء فخماً ورضي ان يكون رئيسه الأعلى . وجعلت اللغة الفرنسية لغة رسمية للمجمع بدلاً من اللاتينية . وظلت كذلك الى ايام فريدريك غليوم الثاني الذي خلف فريدريك الثاني فانه استبدل اللغة الالمانية باللغة الفرنسية وساء هذا المجمع في تقدم العلوم الى يوم الناس هذا وهو يعد من اكبر مجامع العالم في دروس اللغات والتاريخ خاصة . وفي سنة ١٧٠٣ تأسس في برلين مجمع للفنون الجميلة كما تأسس في سنة ١٧٥٩ مجمع علمي في مونيخ وكما تأسس آخر في ليبتزج سنة ١٨٤٦

﴿مجامع اميركا﴾ عدد المجامع العلمية في الولايات المتحدة كبير ونفعها عظيم ولاسيما في العلوم المادية العملية . فمجمع العلوم والفنون تأسس سنة ١٧٨٠ في بوسطن واغراضه تشجيع دروس الآثار ودروس المراليد وتطبيق العلوم والفنون على صناعات البلاد ومحصولاتها الطبيعية . ويسمونهُ المجمع الاميركي حسبُ ولهُ خزانة كتب كبيرة ومؤلفات أخذ ينشرها منذ سنة ١٧٨٥ وأهم ما فيها فوائدها العملية . ومن أهم المجامع الاميركية مجمع العلوم الطبيعية في فيلادلفيا . تأسس سنة ١٨١٢ واعترف به سنة ١٨١٧ . وقد اوجد متحفاً للمراليد من اغنى متاحف العالم ودار كتب حوت مئات الالوف من الاسفار . ولهُ مجلة وتصانيف في تعريف مجاميع المتحف من نباتات وحشرات وطيور وحيوانات سائرة

ومنها مجمع العلوم الوطني تأسس سنة ١٨٦٣ لفحص المسائل العلمية التي تطرحها الحكومة ودرسها وكتابة تقارير فيها . وكان اعضاؤه خمسين عضواً فأربوا اليوم على مائة وخمسين . وفيه شعبتان احداها لعلم الطبيعة والرياضيات والثانية للفراليد الثلاثة . وله مجلة ورسالات ومصنفات

ومنها معهد سمثسُن الشهير تأسس في واشنطون سنة ١٨٤٦ بما اوصى به جمس سمثسُن المتوفى سنة ١٨٢٩. وقد بذلت هذه الجمعية جهدها في جمع المجاميع للمتحف الوطني حتى صار من اغنى متاحف العالم ولاسيما فيما يختص بالانسان والحيوان والمعادن. وجمعت عدداً عظيماً من الكتب أضيفت الى دار الكتب الوطنية . وسهلت البحث العلمي وشجعته وخاصةً في ما يشق على مختبرات المدارس والجامعات إما لقلة المال او لقلة الاختصاص . وكانت خير واسطة بين العلماء والمعاهد العلمية . ولها نشرات ومصنفات عديدة

﴿ المجامع السائرة ﴾ تأسس في اسبانيا سنة ١٧١٣ مجمع ملكي للغة الاسبانية على غرار مجمع اللغة الفرنسي ومجمع كروسكا الايطالي فنشر معجماً ظهرت طبعتهُ الاول من سنة ١٧٢٦ الى سنة ١٧٣٩. وتأسس فيها ايضاً مجمع للفنون الجميلة (سنة ١٧٤٤) وآخر للعلوم (سنة ١٨٤٧) وهو على ثلاث شعب للعلوم الطبيعية والرياضية والمواليد

وفي وينّا مجمع امبراطوري للعلوم تأسس سنة ١٧٤٦ وآخر للفنون الجميلة اقدم من الاول. وفي روسيا مجمع للعلوم ظهر ايام بطرس الاكبر سنة ١٧٢٤ . وكان جميع اعضائه اجانب المانيين وسويسريين . وكان يشترط عليهم تعليم الروسيين وتهيئة علماء من ابناء البلاد يخلفونهم في المجمع. وكان الاعضاء المذكورون يؤلفون بالفرنسية والالمانية والروسية . وقد قام هذا المجمع بأعمال لا بأس بها وصار جميع اعضائه او معظمهم من الروسيين منذ اوائل هذا القرن

ولا تخلو دولة من الدول الاوربية والاميركية السائرة من مجمع او اكثر ويطول بنا نفس الكلام اذا ما رحنا نستقصيها في هذه المقالة الموجزة

﴿ مجامع البلاد العربية ﴾ قلت ان الاكاديميات القديمة كانت اقرب الى اسواق العرب في الجاهلية وحلقات التدريس في الاسلام منها الى المجامع العلمية واللغوية المعروفة في ايامنا هذه . فسوق عكاظ وامثالها في الجاهلية تعدُّ من أقدم اكاديميات العرب وكذا مجتمع أخوان الصفاء في القرن الرابع من الهجرة . ويمكننا ان نضع في عدادها ايضاً بعض المدارس والربُط والمستشفيات القديمة كالمدارس النظامية التي أسسها نظام الملك وكالازهر ومدارس الاندلس والعادلية في دمشق والصلاحية في القدس وعشرات من امثالها

اما الاكاديميات كما نعرفها اليوم فأولها على ما نعلم المعهد الفرنسي في مصر ايام نابليون وقد درس رجاله دروساً مهمة وألفوا في مختلف العلوم والفنون مصنفات يعرفها كل من لهُ اطلاع على تاريخ مصر الحديث . ويوجد اليوم في دمشق معهد فرنسي يبحث اعضاؤه في بعض شؤوننا الشرقية كما يوجد في مصر معهد للعلوم وجمعية للجغرافيا وجمعية للحشرات ولها كلها صبغة اجنبية. وفيها لجنة التأليف والترجمة والنشر وهي من أرقى الجمعيات الادبية وانفعها . وفيها ايضاً المجمع المصري للثقافة العلمية واعضاؤه علماء أسسوه منذ بضع سنوات

واشترطوا على كل عضو ان يلقي محاضرة في كل سنتين على الاكثر فاجتمع لديهم مصنف من المحاضرات في ابحاث علمية ثمينة . وفي تونس جمعية تسمى الجمعية الخلدونية لها مدرسة ودار كتب وردهة تلقى فيها محاضرات معظمها مفيد فيه بحث وتحقيق . وظهر في الشام بعض جمعيات لخدمة الادب واللغة (كجمعية النهضة السورية وكالرابطة الادبية في دمشق) لكن السياسة طاحت بها فلم يطل عمرها . وحاول السيد توفيق البكري رحمه الله تأليف مجمع لغوي في القاهرة سنة ١٨٩٢ فتم له ما أراد لكن عمر هذا المجمع كان قصيراً وتبعه لايذكر . وفي سنة ١٩٠٧ تأسس نادي دار العلوم في القاهرة . وكان رئيسه المأسوف عليه خفني بك ناصف وهذا النادي ايضاً لم يكتب له البقاء كما انه لم يكتب للمجمع اللغوي الذي اوجد سنة ١٩١٧ برئاسه شيخ الجامع الازهر ولا لمجامع بيروت وبغداد وعمان وكلها قامت بعد الحرب الكبرى (١٩١٤—١٩١٨) بمعونة مالية من حكومات لبنان والعراق وشرقي الاردن فلم تعش كثيراً اما لانقطاع المال عنها او لانه كان يعوزها غير المال

والمجمع الوحيد الذي قاوم صروف الدهر واحداثه من ضيق في البيئة وشح بالمال وجهل في سواد الشعب وفي ارباب الوجاهة على السواء، هو المجمع العلمي العربي بدمشق . تأسس سنة ١٩١٩ وخصصت له الحكومة اعانة ضئيلة فاصلح مدرستي العادلية والظاهرية واتخذهما مقراً له . وسار في عمله على خطة ما حاد عنها حتى اليوم وهي اولاً جمع الكتب المطبوعة والمخطوطات القديمة وضمها الى دار الكتب التي اوجدها بجانب الخزانة الظاهرية . ثانياً القاء محاضرات في مختلف العلوم والفنون التي اختص بها اعضاؤه وغيرهم ممن لهم مكانة علمية او أدبية . ثالثاً فتح غرف للمطالعة . رابعاً جمع النصب والتماثيل والنقود القديمة والآثار السائرة حجرية كانت او خزفية او معدنية او قاشانية او زجاجية او خشبية وايجاد متحف (او نواة متحف) في دمشق وآخر في حلب . خامساً اصدار مجلة تبحث في اغراض المجمع وفي منتوجات قرائح اعضائه وغير اعضائه

فاما جمع الكتب فقد صار في خزائن كتب المجمع اكثر من عشرين الف كتاب منها نحو ٤٠٠٠ مخطوط معظمها في دمشق والبقية في فرع حلب . واما المحاضرات ففي كل اسبوع او اسبوعين (عدا اشهر الصيف) تلقى محاضرة في ردهة المجمع . وقد جمع قسم من المحاضرات في كتاب ونشر قسم في مجلة المجمع . وموضوعاتها مختلفة : وفي بعضها ابحاث لم يسبق اليها احد . واما غرف المطالعة فانه ينشاها في كل شهر ١٥٠٠ مطالع وهو الرقم المتوسط . واما جمع الآثار فقد قام المجمع بما اخذ على نفسه القيام به في هذا الصدد فأسس المتحف السوري بدمشق . وهو على صغره يحوي اليوم ٩٠٠٠ قطعة منها مجموعة من القطع الزجاجية القديمة تعد فريدة في نوعها . واما مجلة المجمع فيعرفها كل من له شغف بالابحاث العلمية والادبية

واللغوية . وهي تتناول جميع اغراض مجمع دمشق ولا تقتصر على اللغة . ومع هذا فان لها في هذا الباب ابحاثاً ثمينة فقد اصلحت كثيراً من اغلاط الكتاب وذكر فيها اعضاء المجمع بضع مئات من الالفاظ العربية او المعربة وضعوها لمعان علمية في الزراعة والنبات والحشرات وعلم الطبيعة وغيرها . ولو جمع كل ما نشر في هذا الصدد او كل ما لدى اعضاء المجمع منه في دمشق لتألف من هذه الالفاظ ومن مقابلها بالفرنسية واللاتينية كتاب لا يعرف قيمته الا من عانى صعوبة وضع الفاظ عربية للعلوم والمخترعات الحديثة

ويدعي بعضهم على المجمع العلمي العربي بدمشق انه لم يوجد حتى اليوم معجماً افرنجيًّا عربيًّا للمصطلحات العلمية ولا معجماً عربيًّا تفسر فيه معاني الألفاظ تفسيراً علميًّا كما في معجم لاروس الفرنسي . وسها عن بال هؤلاء ان عملاً كهذا ولاسيما الاول منه لا يجوز بحال ان ينفرد به مجمع دمشق بل لا يجوز ان يأتيه سوى مجمع مشترك يضم علماء من الاقطار العربية كافة . وهو ما أشارت اليه مجلة مجمع دمشق غير مرة ونبهت الى ان المصطلحات التي يضعها اعضاء المجمع وتنشر في مجلته لا تعبر على وجاهتها الا عن رأي واضعي هذه الالفاظ والمجمع لا يسوغ لنفسه حق إقرارها جميعًا للأسباب المذكورة

واعضاء مجمع دمشق اليوم ١١٥ عضواً منهم ١٨ عضواً في دمشق و٣٧ من المستشرقين والباقون في انحاء الشرق وفي المغرب

وآخر نبأ في صدد المجامع العربية المرسوم الذي اصدره جلالة الملك فؤاد الاول في ١٤ شعبان سنة ١٣٥١ (ديسمبر سنة ١٩٣٢) وهو يقضي بتأسيس مجمع ملكي للغة العربية في القاهرة . وتقضي مادته الرابعة بأن لا يتقيد اعضاؤه بالجنسية ولهذا يمكن انتخاب بعضهم من اعلام العرب غير المصريين ومن نبهاء المستشرقين . وقد اصاب واضعو هذه المادة كل الاصابة لان اللغة العربية ليست وقفاً على مصر وحدها ولان مجمع مصر اذا لم يكن مشتركاً لا يأتي بالفائدة المطلوبة بل ربما كان وجوده داعياً الى ازدياد التشويش والى تخبط اعضائه بمصطلحات جديدة قد لا يقرها علماء الاقطار العربية السائرة . اقول هذا ردًّا على بعض المتعصبين من اخواننا المصريين الذين يظنون ان مصر تستطيع وحدها او يجوز لها وحدها ان تقوم بأهم غرض من اغراض مجمع اللغة العربية وهو وضع معجم افرنجي عربي لمصطلحات العلوم والمخترعات الحديثة . وقد مر الى اليوم اربعة اشهر على وضع المرسوم المشار اليه ولم يعين اعضاء المجمع . وعلى كل اذا احسنت الحكومة المصرية انتقاء هؤلاء الاعضاء واقصت عن المجمع الاهواء السياسية ولم تبخل عليه بالمال فسيكون جديراً بأن يصبح المجمع المشترك الذي ما برحنا نرقب تأسيسه وسيكون خليقاً بأن يخطو بلغتنا العربية الكريمة خطوات تدنيها من مصاف اللغات الاوربية الحية